

الروابي . . مؤشرا الانقلاب الهادئ في الضفة

بقلم: آري شبيط

أزال الكثيرون من الاسرائيليين هذه المدينة عن خارطة وعيهم. ليس لديهم اهتمام بالفلسطينيين، إن خيراً أو شراً. ولكن اولئك الاسرائيليين أيضاً الذين يسكنون بالملف الفلسطيني ليسوا دائماً مهتمين بالفلسطينيين كبني بشر. هم يفضلون اعتبارهم ضحايا. ليس لديهم اهتمام كبير بالفلسطينيين الذين لم يعودوا ضحايا وتحولوا الى مستثمرين ومهندسين ومقاولين ومخططين للبرمجيات ومختصين في الدعاية والعلاقات العامة. ولذلك لم ير اليمين ولا اليسار او يستوعبوا الانقلاب الهادئ الذي يلم بالضفة.

ولكن الانقلاب الهادئ يحدث. كل شيء ما زال في بدايته وقابل للتغيير. في كل لحظة يمكن لأزمة سياسية او حدث امني أن يفترس الاوراق. ولكن الزائر لرام الله في هذا الصيف لا يملك نفسه من الدهشة. في السنة الاخيرة فقط فتح في المدينة ١٢ مطعماً جديداً. وفي منتصف الليل تكتظ الشوارع وتبقى التجارة يقظة والنوادي الليلية تغص بالزائرين. مثل بيروت الحريري. رام الله فياض هي مدينة ما بعد الحرب. مدينة تتدأوى جراح صدمة شديدة وتحتفل بتعقلها. ان لم يقم الاميركيون والاسرائيليون والفلسطينيون بحرق الطبخة مرة اخرى فان هذا التعقل قد ينتشر الى مدن الضفة الاخرى. خلال فترة غير طويلة سيتبلور واقع جديد هناك. الروابي هي ايضا رمز ومحك التعقل الجديد. ٨٠٠ مليون دولار سيصرفها الفلسطينيون والقطريون على هذا المشروع غير المسبوق. حوالي ٦ آلاف وحدة سكنية ستبنى في المدينة التي ستستقبل ٤٠ الف نسمة وتوفر اماكن عمل لعشرة آلاف فلسطيني.

الروابي هي ايضا مشروع اقتصادي ضخم، وكذلك مشروع اجتماعي ثقافي يعرض على الفلسطينيين افاقاً جديدة. ولكن خروج هذا المشروع الى حيز التنفيذ يستوجب من الاميركيين والاوروبيين أن يفهموا أن نهج فياض هو النهج الصحيح. على نتنهاهو وباراك ان يسلموا الممر الذي يربط بين الروابي ورام الله الى السلطة الفلسطينية حتى تخرج المدينة الى حيز التنفيذ. عليهم أن يقللوا من البيروقراطية وان يتيحوا لمدينة المستقبل الحصول على الماء والكهرباء وطرق المواصلات. هناك الان فرصة حقيقية في الضفة. من المحظور تضيقها.

عن «هارتس»

تذكروا الاسم: الروابي. المدينة الجبلية التي ستشيد على مسافة ٩ كيلومترات شمال غربي رام الله. المدينة المخططة الاولى في التاريخ الفلسطيني. المدينة المخططة الاولى في الضفة التي سيقطنها فلسطينيون لا مستوطنون. مدينة خطط لها ان تكون مدينة رضاء فلسطينية علمانية مفتوحة. مدينة الشوارع المرصوفة والمقاهي ورياض الاطفال والمدارس. مدينة الشركات القوية الفلسطينية والنخب الفلسطينية المختارة. مدينة تشق طريق الفلسطينيين نحو القرن الحادي والعشرين.

الروابي كانت طوال سنوات امنية. أمن المستثمر بشار المصري دائماً بالمكانة الفلسطينية الجديدة: شبان مثقفون ذوو وجهة غربية ودخل متوسط وحتى مرتفع. اعتبر المصري هذه الطبقة الجديدة طاقة كامنة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بدرجة كبيرة. لذلك اعتقد انه سيكون من الصحيح اقامة مدينة جديدة لهذه الشريحة. ولكن ظروف المجابهة والاحتلال جعلت الروابي حلماً هذيانياً وخيالياً. الكثيرون شككوا بالقدرة على اقامة مدينة عصرية فلسطينية في ظل القمع الذي تخضع له الضفة، والحواجز التي تمرقها والسياسة المتطرفة الهدامة التي تنقش فيها. ولكن في السنة الاخيرة حدث انقلاب. سياسة سلام فياض بدأت تؤتي ثمارها. قوات الامن الفلسطينية انتشرت في رام الله وجنين ونابلس وبيت لحم والخليل. الفوضى اخلت مكانها لحكم قائم على النظام. في موازاة ذلك ازلت اسرائيل ٢٥ حاجزاً كانت تقطع اوصال الضفة وتخنق اقتصادها. كما ان الوعي الفلسطيني تغير: لقد سئموا. سئمو الاحتكاك الدائم والصراع الذي لا ينتهي. ولذلك يتطلعون للهدوء والنظام والحياة الطيبة.

نتيجة لهذه المجرىات الثلاثة عاد مستثمرون عرب وغربيون للاستثمار في فلسطين. بنوك وشركات مالية وشركات تكنولوجيا راقية فتحت في رام الله. وفي بيت لحم وجنين بدأ الازدهار يظهر. حتى في نابلس ظهرت في الآونة الاخيرة علامات اولى للانعاطة. الهدوء والاستقرار والحركة شبه الحرة تسببت في عودة الحياة الى مسارها تدريجياً. بعد فترة التعصب والقمع بدأت فلسطين اخيراً تظهر بدابة أمل.

في اسرائيل يقللون من الحديث عن انقلاب فياض. منذ عملية الاعدام الميدانية في رام الله ضد الاسرائيليين،